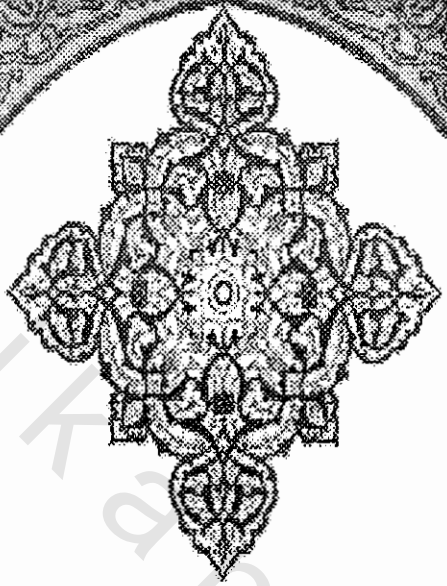

سورة الصف

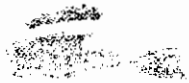

obeikandl.com

﴿ سورة الصف ﴾

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٣ ﴾

فيه تأديب للعارف فى أن يكون قلبه مطابقاً للسانه، فيكون الظاهر نسخة من الباطن، فتستوى الصفتان فى النطق والنية.

وخير من هذا، من كان ظاهرهم أقل خيراً من باطنهم وهم أهل الملامة، وقد كان أبو سعيد الميهنى ﷺ يذهب إلى الحانة ويأخذ معه غلاماً جميلاً وهو ابنه وزجاجة خل، فيظن الظان فيه أنه جالس مع أمرد ويحتسى الخمر وقد كان شيخنا غوث زمانه عبد المجيد الشريف رحمه الله يتمثل بهذا البيت دوماً:

يظن الناس بى خيراً وإنى لشر الناس إن لم تعفوا عنى

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ ۝٤ ﴾

فيه إشارة عالية إلى مقام همة الرجال، فبالهمة يبلغ الرجال ما يريدون.

وكذلك فيه إشارة بليغة إلى توحد إرادة السالك فى طريق الحق.

وربما عبر الحق عن كون العارف صاحب الهمة المتقدة كأنه صف من الرجال الأشداء المقاتلين، وذلك لعلو همته

وإرادته فى طريق الله، يقول سبحانه عن إبراهيم الخليل عليه السلام وهو من أقطاب هذا المقام: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً ﴾.

يقول شيخنا وأستاذنا سيدى أحمد التجانى ﷺ واصفاً هذا المقام ــ وهو من مقام الفتوة ــ ((**البيضة منا بألف والفرخ لا يقوم**)).

وربما فيه إشارة ثالثة إلى أصحاب القتال الباطنى، المميتين لهواهم والكابحين لأنفسهم والمدمرين لظلمات النفس، فى كون أن الله يحبهم لكونهم يقاتلون أنفسهم فى سبيله، حيث عدَّ الحق سبحانه المقاتل منهم بصف كامل من المقاتلين العاديين، ووصف الرجل الصادق الواحد منهم بأنه بنيان مرصوص.

﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾ ﴾

سمى ﷺ (أحمد) لكونه أحمد مخلوق لله عز وجل، وما خلق الله سبحانه نبياً ولا ملكاً أحمد لله منه ﷺ، ومن أجل هذا أعطاه الحق تعالى لواء الحمد يوم القيامة.

واعلم أيدك الله أن هذا يظهر منه ﷺ عندما يأبى الرسل صلوات الله عليهم أن يتقدموا يوم القيامة بين يدى الله حتى ينتهوا إليه ﷺ، فيحمد الله عز وجل ويثنى عليه بمحامد لم يسمعها إنس ولا جن، ولا رسول ولا ملك، وبسر تلك المحامد يكشف الله الغم ويجلى الكرب.

واعلم أيدك الله أن هذه المحامد خاصة به هو ﷺ، لا يشم رائحتها أحد ممن اصطفاهم الحق عز وجل، فلا يحمد الله عز وجل فى موقف كمثل حمده فى ذلك الموقف وعلى يده هو ﷺ.

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾ ﴾

ناداهم الحق سبحانه ـ أى المعرضين ـ بلسان اللطف، خوفاً عليهم أن يخرجوا عن دائرة الإسلام، وهى دائرة من خرج عنه فياويله.

﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ ﴾

ونور الله هو محمد ﷺ، لكون نور الإسلام انبثق منه ﷺ، ذلك لأنه لولاه لما كان الإسلام أصلاً.

فهم بمكرهم أرادوا إطفاء تلك العين، حتى لا تبث نور الإسلام والوحى.

ذلك لأن الحق سبحانه أحيا الناس الموتى ببعث الرسل فيهم، فالرسل هم الأطباء الذين يحيى الله بهم الموتى.

ولما تكامل خبث نيتهم تتبعوا ذلك النور، فرأوا أن تلك العين المحمدية هى التى تبثه فأرادوا إطفاءها.

وماذا تعمل أفواه الكفار فى إطفاء نور العين المحمدية إذ كان الله يريد لها أن تكتمل ؟

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى

﴿ ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾

ليظهره على الدين كله بالنسخ الباطن والظاهرى لشرائع تلك الديان السابقة، وختم دورة النُبوة به ﷺ، ولو كان سيدنا رسول الله ﷺ غير صادق فيما ادعاه أنه خاتم الأنبياء، لبعث الله بعده من يكذبه من الأنبياء، ولكن كل الألوف فى شتى بلاد الدنيا الذين ادعوا النبوة خاب مسعاهم وبان كذبهم فى ادعاء النبوة، وهو أكبر دليل على صدقه ﷺ، ومن هنا أظهره الحق تعالى على الدين كله السابق وبه تم نسخ كل دين مضى، فلا يدخل داخل الجنة إلا من نور مشكاته ﷺ

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿١٠﴾ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿١١﴾ ﴾

اعلم ولى الله وحبيبه أن الحق سبحانه جعل أعظم أنواع التجارة هى التجارة الباطنية، وأشار إليها بقوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَ ﴾

وجعل عنوان هذه التجارة بعد الإيمان بالله ورسوله مجاهدة النفس والانتصار عليها وكبحها ومناضلتها، كل ذلك فى سبيل ورجاء رضاه عمن يفعل ذلك، فهذه التجارة هى التى تنجى من العذاب الأليم .

ثم يقول سبحانه:﴿ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ ﴾

أى من التجارة الحسية والتى بسببها يغش الإنسان ويحلف كاذباً لكى يروجها .

﴿ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾

هى أقل من التى أريناكم إياها نحن مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ذلك لكون التى تحبونها فيها روائح الدنيا، وأما التى منحناكم نحن إياها فليس فيها من روائح الدنيا شئ، لغيابها عن السمع والبصر والعقل من خلف حجاب الحواس .

obeikandl.com